

التَّهْيئة السَّوسِيو أَلْسِنِيَّة لِمَتَعَلِمِي التَّربِيَّة التَّحْضِيرِيَّة مِنْ مَنْظُور وظيفي.

Sociolinguistic preparation for preparatory education learners from a functional perspective.

د. إسماعيل بشوات

جامعة يحي فارس المدية، (الجزائر)

البريد الإلكتروني: bechaouet.smail@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/21

تاريخ القبول: 2024/06/14

تاريخ الإرسال: 2024/08/29

المخلص

يُعتبرُ التَّكْفُل النَّوعِي بِالطَّفُولَةِ الصَّغْرَى (أَطْفَالُ التَّعْلَمِ القَاعَدِي) دَعَامَةً أَسَاسِيَّةً لِلتَّربِيَّةِ الأَسْرِيَّةِ، فَهُوَ يَفْتَحُ آفَاقًا جَدِيدَةً لِلتَّلَامِيذِ مِنْ أَجْلِ الْوُلُوجِ فِي عَالَمِ الْمَدْرَسَةِ مَبْكَرًا انْطِلَاقًا مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَى الْمَحِيطِ الْمَدْرَسِيِّ، فَهِيَ تَعْدُ بِذَلِكَ مَرَحَلَةً أَوَّلِيَّةً يَسْعَى مِنْ خِلَالِهَا الْمَعْلَمُ لِتَعْرِيفِ الْمُتَعَلِّمِينَ بِالْحَيَاةِ الْمَدْرَسِيَّةِ، لِتَلْيِئِهَا فِيمَا مَا بَعْدَ مَرَاكِلِ تَعْلِيمِيَّةٍ أُخْرَى يَشْكَلُ التَّرَابُطُ وَالانْسِجَامُ فِيهَا حَدِثًا رِئِيسِيًّا لِإِكْسَابِ الْمُتَعَلِّمِينَ اللُّغَةَ الْفَصْحَى الْأَوَّلَى، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَى مِنْ خِلَالِ التَّخْطِيطِ وَالتَّنْظِيمِ الَّذِي يَعْمَدُ فِيهِ الْمَعْلَمُ عَلَى اسْتِخْدَامِ وَتَنْوِيعِ الْأَسَالِيبِ قَصْدَ إِيْصَالِهَا لِلْمُتَعَلِّمِينَ، وَلَعَلَّ عُنْصَرَ التَّهْيئة لَا يَقِلُّ أَهْمِيَّةً عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الْعُنَاصِرِ السَّالِفَةِ الذِّكْرُ، الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ الْمَعْلَمِ يَطْرَحُ فِي ذَهْنِهِ جُمْلَةً مِنَ الْأَسْئَلَةِ الْمُتَتَالِيَّةِ؛ كَيْفَ أَهْيئُ التَّلَامِيذَ لُغَوِيًّا؟ وَمَعْرِفِيًّا؟ وَسُلُوكِيًّا؟، وَمِنْ هُنَا تَظْهَرُ الْحَاجَةُ إِلَى أَهْمِيَّةِ التَّهْيئةِ اللُّغَوِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ لِلْمُتَعَلِّمِ وَمَدَى انْعَاكِسِهَا عَلَى الْعَوَامِلِ ذَاتِ الصَّلَةِ بِالجَانِبِ السُّلُوكِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ الَّتِي تُسَاهِمُ بِدَوْرِهَا فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِ الْمَعَادِلَةِ الدِّيدَاكْتِيكِيَّةِ فِي هَذَا الْمُسْتَوَى التَّعْلِيمِيِّ الْقَاعَدِيِّ.

الكلمات المفتاحية: التَّهْيئة؛ السَّوسِيو أَلْسِنِيَّة، التَّربِيَّة التَّحْضِيرِيَّة، الْوِظِيفِي.

Abstract:

The specific support of young children (children of basic education) is considered a basic pillar of family education, as it opens new horizons for pupils to enter the world of school early, starting from getting acquainted with the school environment as a first stage up to acquiring the various expected competencies, to be followed by other stages in which coherence and harmony constitute a major event To acquire a first language, And, this is not due to the planning and organization in which the teacher intends to use and diversify methods in order to deliver them to learners, and perhaps the preparation element is no less important than other aforementioned elements, which make the teacher ask in his mind a number of questions How do I prepare students linguistically? And cognitively? And behavioral ?, Hence the need for the importance of the linguistic and cognitive preparation of the learner and the extent of its reflection on the factors related to the behavioral and social aspect that contribute to achieving the goals of the pedagogical equation at this educational level.

keywords: configuration; Socio-linguistic, preparatory education, second generation curricula

مقدمة:

لقد جرت العادة أن يرتبط مصطلح التهيئة عموماً بالمجالات والميادين ذات الطابع الاقتصادي والبيئي والعمراني، لكن مرونة اللغة العربية تجعل من مصطلح التهيئة يتمدد ويتقلص حسب الحاجة الديناميكية لكل موضوع، وهذا ما يفسح المجال أمامنا لصياغة مفتاح موضوعنا انطلاقاً من هذا المفهوم (التهيئة اللغوية)، وتعتبر هذه الأخيرة منطلقاً أساسياً في المراحل التعليمية القاعدية والتأسيسية وغاية رئيسية من غايات المدرسة الحديثة القائمة الوظيفية القائمة أساساً على مشمولات التنظيم والتهيئة والتخطيط والجودة التعليمية الشاملة.

فالتربية التحضيرية في المدرسة الجزائرية تمثل البنية الأساسية الأولى في التعليم الابتدائي التي يكتسب من خلالها المتعلمون أبجديات اللغة ويدركون معاني الأصوات والحروف تدريجياً، فهي أرضية خصبة للكشف عن مواهب الأطفال وقدراتهم مبكراً، حيث أثبتت التجارب العلمية أن التلاميذ الذين درسوا التعليم التحضيرى لهم أسبقية واضحة على غيرهم من المتعلمين خاصة إذا لقي هؤلاء المتعلمون مرافقة من قبل معلمين أكفاء، فعملية اكتساب اللغة لا تكون دفعة واحدة بل تتم عبر مراحل لعل أهمها: الاكتشاف والبناء والربط التي يعد فيها التواصل الناجح عاملاً رئيسياً فيها لنجاح هذه الممارسة، ووتساعدها في

ذلك جملة من العناصر المساعدة في بناء التّعلّات على غرار التّخطيط، والتّهيئة، والتّحضير الذي يعمد من خلالها المعلم لتحقيق أهداف التّعلم المعرفيّة واللّغوية مراعيًا في ذلك متطلبات مناهج الجيل الثّاني بأبعادها المختلفة.

ولعلّ ما يميّز هذه المناهج هو ربط التّعلم باللّغة والمجتمع؛ أو بمعنى آخر فإنّ مختلف الوضعيات التّعليميّة الجديدة تراعي السّياق والبيئة الاجتماعيّة، تماشيًا مع متطلبات النّظرية البنائيّة، حيثُ تكون في الغالب في شكل وضعية مشكلة تتعلق بالمجتمع، ما يجعل التّعلم من هذا المنظور يحمل بين طياته بعدا اجتماعيا بامتياز يتماشى مع مقتضيات التّنشئة الاجتماعيّة الحديثة التي تؤكد على أهمية المحيط الاجتماعي في التّعلم الحديث لتخالف بذلك مخرجات المدرسة السلوكيّة القائمة على المثير والتعزيز والاستجابة.

أولاً- المفاهيمُ المحوريّةُ المتعلّقة بالموضوع :

1- التّهيئة السّوسيو ألسّنية :

لطالما ارتبط مفهوم التّهيئة بمصطلحات متقاربة تتعلّق في العادة بالموضوع المراد تدريسه، أو بالمعرفة المراد إيصاله للمتعلّم، كالّتحضير، والتّخطيط، والتّنظيم، لكنّ في الواقع أنّ لكل مصطلح منها مفهومه الخاص به، فالّتخطيطُ يعني وضع خطة مسبقة ومنظمة تتماشى وتسائر مراحل الدّرس المختلفة، ويختلفُ التّخطيط في الأنشطة اللّغوية عن غيره من التّعلّات الاجتماعيّة والعلمية، وتتداخل في تشكيله مختلف العناصر الأخرى التي تتفارق من نشاط إلى آخر؛ بل حتى في النشاط التعليمي الواحد، فالّتخطيطُ للتعبير ليس بنفس حال التّخطيط للكتابة، ومن هنا فإنّ الهدف الأسمى لكل تخطيط هو: "تنظيم الأفكار بشكل منطقي ومتسلسل، وإنّ التدريب على مرحلة ما قبل الكتابة له أثر عظيم على المنتج النهائي، ويترتب عليها نجاح أو فشل مراحل الكتابة اللاحقة." ¹

ويبنى التّخطيط اللّغوي في عمومته على المركبات العامة للنشاط الرئيسي المدرس على غرار نشاط اللّغة العربيّة في المرحلة القاعدية باعتبارها نشاطاً محورياً لبقية التّعلّات ويشير في ذلك "هوغن (E.HAUJEN)) (إلى أنّ) التخطيط الألسني على النّحو التّالي: أفهم من كلمة التّخطيط (هو ذلك) النشاط الذي يقوم (فيه وضعوا المناهج والمخطّون) بتحضير إملاء وقواعد ونماذج معجمية لتوجيه الكتاب والمتكلمين في مجتمع لغوي غير متماسك. وفي هذا التّطبيق العلمي للمعرفة الألسنية، يتعدّى عملنا إطار الألسنية الوصفية ليشمل مجالا يمارس فيه الأحكام في شكل اختيارات بين الأشكال اللّغوية المتوافرة، فالّتخطيطُ يستتبع محاولة توجيه تطوّر اللّغة في الاتجاه الذي يرغب فيه المخطّون." ²، وذلك من أجل إيصال مجموعة من المعارف لأذهان المتعلّمين، وإعدادهم وتهيئتهم لاكتساب مفاهيم لغوية

جديدة تتناسب مع قدراتهم العقلية ومحيطهم الاجتماعي. لكن السؤال المطروح هل كل تهيئة لغوية يسبقها تخطيط لغوي؟ الإجابة من وجهة نظر خاصة نعم وإن كان جانب التهيئة يحمل دلالات تتعلق بالجانب الحسي والوجداني والنمائي، فأسئلة التهيئة كثيرة أيضاً، من قبيل كيف أهيئ التلميذ نفسياً؟، كيف أهيئ حركياً؟، كيف أهيئ لغوياً؟ وهنا تكمن أهمية التخطيط في التهيئة التي تأخذ شكل عمل تكاملي يكون الغرض منه إعداد التلميذ في مختلف المناحي قصد الدخول في عالم المدرسة.

2- التمييز بين التهيئة والمفاهيم المجاورة لها (التخطيط - التصميم - التحضير) :

تجدر الإشارة إلى أن لكل مصطلح في اللغة العربية له مصطلحات مجاورة ومقاربة له وهو ما يعكس مرونة اللغة العربية وإمكانية تطويعها حسب الحاجة اللغوية لذلك، وهي الصفة ذاتها التي تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى، وهو يجعلنا في هذا المقام نفرق بين التهيئة اللغوية والتحضير؛ والتهيئة اللغوية والتخطيط؛ والتهيئة اللغوية والتصميم؛ وسنحرص على التمييز بين هذه المفاهيم تبعاً لتحديد حدود التضافيف والتباعد بينها.

2-1- التهيئة اللغوية والتخطيط في التربية :

تحتاج كل تهيئة أياً كان نوعها لعنصر التخطيط المسبق الذي يعتمد عليه المعلم في تحقيق أهداف العمل الديداكتيكي، "فالمعلم يخطط في كل يوم لمجموعة حصص المقررة عليه في ذلك اليوم، والخطة التي يضعها المعلم يجب أن تكون مبنية على أسس وخطوات مدروسة الأهداف والغرض والتقديم والربط والتقويم، كلها أجزاء لحصة واحدة ولكل جزء وقت معلوم وزمن محدد والمعلم الماهر وصاحب الكفاءة هو الذي يخطط لحصته بدقة ثم ينفذها بنجاح"³. ويأخذ مدلول مصطلح التخطيط في علوم التربية في حد ذاته عدة دلالات تعكس شاسعة هذا المفهوم فهو لا يتعلق بتخطيط المعلم لوحده بل يتجاوز للتخطيط للبرامج والمحتويات التعليمية.

ويرتبط هذا المفهوم أيضاً بالمشاريع المتعلقة بإحداث وإنشاء مدارس حديثة، وهذا ما يجعل من التخطيط شائعاً في كل صوب، فإن مجرد كون هذه الكلمة موضة يؤدي إلى التضخمات الدلالية المعتادة، أي أن الكلمة تؤخذ بشتى المعاني، وإن الرغبة في عدم الظهور بمظهر المتخلف تدفع البعض إلى إطلاق هذه الكلمة على برامج بسيطة، لكونها بعيدة المدى، أو حتى مشاريع إصلاحية محضة أو على تصاميم توسيع المدارس، بعيدة عن أي تغيرات هيكلية. فمن الحذر أن لا نتحدث عن التخطيط إلا في البلدان (التي تحوي) مصلحة مختصة في التخطيط التربوي بوزارة التربية الوطنية (حوالي عشرين بلداً)، وكذا في البلدان التي يخضع التخطيط التربوي (فيها) لهيئات عليا يناط بها التنسيق والتخطيط العام لأنشطة الدولة⁴.

2-2- التهيئة والتصميم في التربية:

لقد تعددت وتنوعت أشكال التصميم في ميدان التربية واللغة، وهذا راجع لاختلاف الفترات الزمانية، إذ أن هذا التصور هو مفهوم قديم جديد، ارتبط بنظريات التعلم القديمة والحديث، فانطباع مفهوم التصميم ومركزاته تحدده في ذلك النظريات التعليمية وغاياتها الوظيفية سواء كانت سلوكية، أو بنائية أو وظيفية لذلك التصق مصطلح التصميم بمحتوى نظريات التعلم، فإذا كانت النظرية السلوكية على سبيل المثال قد اعتمدت في تصميم التعليم على "تحديد الأهداف وتحديد هوية الانسجام وتتابعه، لتمكين من إنتاج برامج التعلم وقد تم تطبيق المنظور السلوكي في التربية على شكل ماكينات التدريس، والتعليم المبرمج الذي احتل المكانة الرئيسية في تتابع الخطوات خطوة بخطوة وقد كان لذلك عظيم الأثر على نمو التكنولوجيا التربوية وصارت جانبا مهما من البحث العلمي وبرامج التدريب"⁵، فإن النظرية البنائية تقوم على ربط التعلم بالبعد الاجتماعي وجعل المتعلم أكثر فعالية في الأداء والتفاعل التواصل بما يحقق غايات التعلم الوظيفي.

ويخضع التصميم في المناهج والمحتويات التربوية لجملة من المعايير التي تأخذ في الحسبان مختلف العوامل الخارجية والداخلية في العمل التعليمي والتي "يجب أن تقدم المعايير الجيدة (كدليل) واضح للمعلم ولمطوري المناهج، ومعدي الكتب المدرسية بحيث يكون تفسيرها من قبل مختلف الأفراد لا يقبل التأويل، وإنما يعطي معاني متفقا عليها بين الجميع. وتأتي أهمية هذه الخاصية في أن اختلاف فهم المعايير سوف يؤدي في تبيان تطبيقها بين المدارس والمعلمين؛ ولذلك تفقد المعايير قيمتها فضلا عن مصداقية أي مقارنات بناء بين أداء المدارس، وتطور العديد من الدول الصناعية مناهج المشتركة عبر عدد من المراحل تبدأ بالتركيز على المعارف المهمة أن تغطيها المادة وسجل الممارسة الجيدة مع المواد".⁶

2-3- التهيئة والتحضير في التربية :

تظهر المفارقة اللغوية بين المفهومين في كون أن مفهوم التهيئة تقتصر على المتعلم والتحضير يكون من قبل المعلم الذي يعتبر مرحلة سابقة للدرس يهدف من خلالها المعلم لوضع جملة من النقاط قصد توظيفها في الدرس بشكل يحقق مخرجات التعلم الناجح، فهي تجعل من المعلم بعيد كل البعد عن التقديم الارتجالي والعشوائي للدرس، فالتحضير الجيد للدرس "يجعل المعلم قادرا على تنوع أساليبه داخل الحصة عن طريق الحوار والشرح والنقاش والقراءة والكتابة (التي يستطيع من خلالها) تحقيق درجة أكبر من النجاح (...)" ، فالتحضير الجيد يجعل من المعلم قادرا على الابتكار والتعديل والإضافة وبذلك يرفع من مستواه العلمي والتربوي.⁷ ، وهنا تكمن أهمية التحضير الجاد في عملية إعداد وتهيئة المتعلم لاكتساب التعلّيمات الجديدة ضمن مختلف الوضعيات التعليمية.

3-التربية التحضيرية في المدرسة الجزائرية:

لقد ساهمت مختلف البحوث التربوية والنفسية في تحديد أهمية التربية التحضيرية على مدار السنوات الأخيرة ، وأثبت بعض التجارب الرائدة في هذا المجال أثر التربية التحضيرية في عملية التعلم، ودورها في معالجة بعض الوضعيات السلوكية و التأخرات المعرفية والنفسية واللغوية للمتعلمين، إذ تعتبر عاملا مفصليا يؤسس لنموذج تعليمي ناجح بكل المقاييس، وهو ما أقره العديد من العارفين بالشأن التربوي من خلال المفارقات الواضحة بين المتعلمين الذين تلقوا سنة تحضيرية كاملة، وبين أولئك الذين يدخلون لأول مرة للمؤسسات التعليمية، ويكتشفون المحيط الداخلي للمدرسة.

فالمفارقة بين المتعلمين تبدو في الحقيقة جليتا في مختلف المناحي السلوكية والذهنية والمعرفية، وهو نتيجة منطقية تبرز بشكل كبير انعكاس التعليم المبكر على المتعلمين، فالتربية التحضيرية هي تربية مخصصة للأطفال الذين لم يبلغوا سن القبول الإلزامي في المدرسة، ...، والتربية التحضيرية تسمح للأطفال بتنمية كل إمكانياتهم، كما توفر لهم فرص النجاح في المدرسة والحياة⁸. ومن هذا المنطلق فإن التربية ليست إلزامية بل هي اختيارية للتلاميذ الذين بلغوا سنة الخامسة، وهذا يعود لاعتبارين : الاعتبار الأول: بعض المدارس لا يكون فيها التسجيل الكافي من أجل إدراج هذا المستوى، لاسيما في المؤسسات التعليمية الريفية والمعزولة؛ والاعتبار الثاني هو عكس الأول تماما كون أن بعض المؤسسات لا يمكنها تغطية العدد الكبير من المتعلمين في هذا السن لاسيما في الأحياء الشعبية، وهو ما يجعل من طابع الاختياري حاضرا في هذا المستوى، على عكس المستويات الأخرى التي يكون التعلم فيها إجباريا لجميع لمتعلمين بما يحقق غايات التربية.

وقد تم إدراج التربية التحضيرية كمرحلة فاصلة بين المقاربة بالأهداف القائمة بالأسس على السلوك ودوره في تحقيق الهدف الإجرائي، وبين متطلبات المقاربة بالكفاءات وما تحمله من أبعاد وقيم جديدة يكون محورها الأساسي الكفاءة ومنطلقها هو الوضعية المشكلة لمختلف التعلّيمات اللغوية والعلمية ليكون بذلك تعلمًا شاملاً يراعي في ذلك الجوانب اللغوية والوجدانية والحسية والاجتماعية لتكون بذلك فضاء مفتوحا يسعى من خلاله المتعلم لتوظيف جميع الوسائل الممكنة لنجاح الممارسة اليداكتيكية في هذا المستوى، والتي يكون الغرض منها الوصول إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الكفاءات.

ثانيا: مراحل التهيئة السوسيو ألسنية لمتعلمي التربية التحضيرية وظيفيا:

لا تتم عملية التهيئة لاكتساب وإكساب اللغة للمتعلمين دفعة واحدة، وإنما تتشكل تدريجيا من خلال عدة مراحل واعتبارات تسهم بشكل مباشر وغير مباشر في تحقيق مركبات اللغة ضمن مختلف العناصر ولعل أهمها مرحلة اكتشاف المحيط المدرسي، لتليها مرحلة ثانية تكمن في بناء سلوك المتعلم وإعداده

انطلاقاً من التنظيم الذي يهدف إلى إرساء قواعد المعاملات داخل إطار المؤسسة ويساعده في ذلك جملة من المعطيات التي يكتسب معها المتعلم اللغة جانباً كمياً ونوعياً من المفردات اللغوية والرموز العلمية والرياضية، والتي سنحاول التفصيل فيها أكثر في هذا المبحث.

1- مرحلة اكتشاف المحيط المدرسي:

إنّ أول ما يكتشفه الطفل منذ الولوج للمدرسة هي المحيط الداخلي للمؤسسة انطلاقاً من الساحة إلى القسم، حيثُ يكتشف تدريجياً مكونات المحيط المدرسي ومرافق المدرسة ومكان جلوسه في القسم وأصدقائه الجدد ومعلمه؛ وهو ما يؤكد قطعاً على أنّ العملية التعليمية التعلمية لا تقوم فقط على تدريس المحتويات- المعرفة- بل هناك شروط وأسئلة أخرى تتدخل في العملية التعليمية التعلمية منها ما يرتبط بالمدرس والتلميذ والطريقة والأهداف المتوخاه والمحيط الذي تجري فيه العملية التعليمية بكلفة مكوناتها الاجتماعية والسياسية والثقافية،⁹. ليتجلى بذلك دور البعد الاجتماعي وأهمية البيئة الاجتماعي في تكاملية العمل التعليمي.

فالمحيط المدرسي يترك انطباعات كبيرة في نفوس المتعلمين الذين يكشفون عالماً جديداً يتعرفون من خلالها على المحيط المدرسي وضوابطه الأساسية التي تنظم العمل الدراسي، ولعل هذا الانطباع يبقى راسخاً في أذهان المتعلمين وتتجلى معه أثر الصورة الإدراكية والحسية للمدرسة ومحيطها الداخلي، ثم تتسع هذه المكتسبات لتشمل الجوانب المعرفية والثقافية التي يكتسبونها يوماً بعد يوم داخل حجرات القسم، وهو ما يبرز التطور المرحلي لعنصر الاكتشاف الذي يحصل عليه التلميذ في المحيط المدرسي الذي ينطلق منه لبناء شخصيته ويحقق من خلاله مختلف التفاعلات والأهداف التعليمية المتوقعة في الممارسة اليداكتيكية. ويتطور باختلاف الأطوار التعليمية وغايات المناهج التربوية.

2- مرحلة البناء السلوكي:

يمثل مفهوم البناء استراتجية قائمة بذاتها يعتمد عليها المتعلم لتشكيل مداركته المعرفية أو السلوكية، فهي " تتركز على تأسيس روابط المعلومات، وكذا علاقات مثل ربط عاصمة ببلدها وهي إستراتيجية بناء بسيطة، في حين هناك إستراتيجيات بناء معقدة تأسيس علاقة معلومة بمعلومة أخرى موجود في البناء المعرفي للفرد"¹⁰، أماء البناء السلوكي فهو بدوره مطلب أساسي تسعى المنهاج التعليمية لتحقيقه، ويتحدد موقعه بوضوح في وضعية الاستعداد والتنظيم في الصف من خلال الحركة الاعتيادية اليومية في المدرسة والتنظيم والانضباط، تليه تلقين التلاميذ قواعد الاحترام داخل المؤسسة وقواعد المعاملات مع الآخرين بشكل ينمي روح الاحترام المتبادل مع الآخرين، وتتحكم في عنصر السلوك استعدادات تتجلى ملامحها بوضوح في المعاملات اليومية للتلاميذ، وهذا ما جعل البعض ينظرون إلى السلوك من زاوية أخرى أعلى أنه " نتيجة

طبيعية لإحساس، وهذا الإحساس مرده إلى جملة تمثلات، وهي الأخرى مرتبطة ومشروطة بجملة متغيرات منها: التاريخ الشخصي والعائلي للفرد، جنسه، سنه، مستواه التعليمي، معيشية اليومي... الخ من المؤثرات، حيث نلاحظ نوعا من السببية المتتابعة وفق الشكل الآتي:

جنس، سن، مستوى تعليمي، معيشي...، sexe. Age. Niveau scolaire. Vecu. يفترض العمل أو التدريس بهذه الطريقة (لفسح) المجال لتمثلات المتعلمين ولمعرفتهم المتواضعة، ومن ثمة يصبح المستوى التمثلي لدى المتعلم شرطا أوليا ومدخلا ضروريا لبناء الدرس أو المعرفة الجديدة¹¹.

3- مرحلة اكتساب اللغة:

لا تقل هذه المرحلة الجوهرية شأنًا عن غيرها من المراحل الاستعدادية والسلوكية والاكتشافية، فهي مفتاح اكتساب العلوم والعبرة فيها ليست بكم المعارف المتحصل عليها، بل بجودتها ونوعها، وفي هذا الشأن يقول الأستاذ عبد الرحمان حاج صالح رحمة الله عليه، " إنَّ اطلاعنا على الحصيلة من المفردات التي تقدم للطفل في المدارس الابتدائية، أظهر لنا معشر اللسانين في المغرب العربي عيوبًا ونقائص في هذه الحصيلة لا يكاد يتصورها المربي، فمن حيث الكم: تقدم الطفل غالبا كمية كبيرة جدا من العناصر لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يأتي على جميعها، ولذا تك تصيبه ما نسميه بالتخمة اللغوية، وقد يكون ذلك سببا في توقف آليات الاستيعاب الذهني والامتثالي، وهذا ما نلاحظه في تنوع المفردات في النص الواحد مع وجود صعوبات تخص غرابة التراكيب بل غرابة المفاهيم، ومن حيث الكم والكيف: الكلمات التي يحاول المتعلم تلقيها تكاد تشمل جميع الأبنية التي تعرفها العربية ونلاحظ ذلك في النص الواحد، وهذا يسبب تخمة أخرى في مستوى البنى"¹². ويجب مراعاة جملة من المعايير لتحقيق غايات التّعلّم واكتساب اللغة في المراحل القاعدية؛ ولعلّ أهمها:

3-1- الملاحظة والمشاهدة:

هي بمثابة مرحلة استكشافية تختلف من متعلم إلى آخر، يلعب فيها عنصر التركيز والإدراك دورا كبيرا في عملية الاكتساب اللغوي لجملة المعارف من خلال الربط بين الصّور والحرف في شكل تكلمي يسهم في نجاحه التقطيع الصوتي للكلمات والانتقال من علاقة الكل إلى الجزء في شكل هرمي للوصول إلى الحرف المراد تعليمه، ولا تتوقف عملية التعلّم على المشاهدة والملاحظة المباشر فقط إنّما تتفاعل العديد من العناصر لإنجاح ذلك كالعامل التعاوني وطريقة أداء المعلم وغيرها من العوامل الهامشية التي كلما ازداد تفاعلها بشكل ايجابي كلما تحقق نجاح الممارسة التعليمية. ويلعب المعلم دورا حاسما في زيادة تركيز المعلم من خلال طريقة عمله حيث يسهم التفاعل الايجابي بين المعلم والمتعلم في لفت انتباه

المتعلم لوقت طويل من خلال تنويع استراتيجيات التعلم بأسلوب فني يجعل من متعلمي التربية التحضيرية في تواصل مستمر، وهو ما سينعكس فيما بعد على قدراتهم لاكتساب مختلف الكفاءات و التعلّيمات.

3-2- الممارسة اللغوية الوظيفية:

يعد جانب الممارسة اللغوية احد أهم الجوانب الأساسية في عملية إكساب المتعلم للغة فهو أحد الطرق التي تبنى عليها عملية التعلم التي تتيح للمتعلّم اكتساب مفاهيم و تعلّيمات جديدة تتعلق في البداية بتعلّم الكتابة والقراءة انطلاقاً من التقليد والمحاكاة والتكرار التي تمثل البنى الأساسية لاكتساب اللغة المكتوبة والمنطوقة على حد سواء" ولذا فإن أهمية القراءة تكمن في أهمية المرحلة ذاتها، باعتبارها جزءاً من سلسلة متتابعة من المراحل، السابق منها يهيئ اللاحق والمعلّمون معنيون بإدراك هذه الأهمية؛ لمراعاتها في تدريس القراءة والكتابة؛ حيث لم تعد هذه العملية هي تعليم التلميذ كيف يقرأ أو يكتب، وإنما أصبحت عبارة عن مجموعة متقدمة من المعارف، والمهارات والاستراتيجيات التي تنشئ وتهيئ الأفراد لكافة مجالات الحياة، كما أنّ المناهج بدورها معنية بمراعاة هذه المهارات، وإبراز أهمية القراءة، وإدراك ذلك في صياغتها؛ لتحقيق بذلك غايات التربية الحديثة، وهي ربط التعلّم بالواقع والحياة"¹³. وينطلق المتعلم تحقيق الممارسة اللغوية من خلال نشاط القراءة والكتابة باعتبارهما المنطلق التعلّمي الأول في المراحل القاعدية.

3-3- وسائل الإيضاح الناجعة:

لا يمكن بأي حال من الأحوال الحديث عن التهيئة اللغوية والمعرفية دون وجود الوسيلة التي تمثل حلقة ربط بين الملموس والمحسوس والذي تتدخل فيها الوسيلة التعليمية في تحقيقه التي تحددها في ذلك جملة من الشروط يمكن تلخيصها في الآتي:

✓ الوضوح.

✓ الملائمة.

✓ التناسب.

✓ الغاية.

وكلها خصائص تسهم في تبسيط الممارسة التعليمية داخل الصف، وتقضي "الوسيلة التعليمية الجيدة صفات تؤثر في الموقف التعليمي وتزيد من التفاعل الصفّي، وتحقيق الهدف منها بالرغم من قلة تكلفة إنتاج الوسيلة في بعض الأحيان، وقد تكون الوسيلة غالية الثمن، ولكن مردودها التعليمي قليل، ولا أثر له في الموقف التعليمي"¹⁴. وهذا ما يفسح لنا المجال للحديث عن عنصر آخر يتمثل في الاختيار الأنجع للوسيلة ودوره في تحقيق التفاعل المفترض لاكتساب الكفاءات المنتظرة في كل وضعية تعليمية.

ثالثا: الجوانب المساعدة في تحقيق التهيئة اللغوية:

تتعد جوانب التهيئة اللغوية وتختلف مؤشراتنا باختلاف العوامل المساعدة على اكتسابه، فهي تبنى على علاقات متداخلة لها صلة كبيرة بالعمل التعليمي من خلال صقل وبناء شخصية المتعلم في مختلف المناحي عن طريق الاعتماد على شتى الوسائل والمعززات التي تسهم في بناء:

1- الجوانب الشخصية:

تتمثل مؤشرات هذا الجانب في تعزيز جملة العناصر التالية: المشاركة، الاختيار، الحضور، التعبير، الأداء، الحضور، التكيف، الاندماج.

2- الجوانب التواصلية:

الاستماع، المحادثة، التقليد، المحاكاة، مسرحة الأحداث القرائية، فاعلية مواد الإيقاظ. التواصل الشفوي والمنطوق.

3- الجوانب البيئة والإنسانية:

التعرف، التمييز، الملاحظة، الاستنتاج، الإدراك، المقارنة، الالتزام، المحبة، التعاطف، التعاون، حب الوطن.

الخاتمة:

تتداخل وتتشابك العناصر المكونة لتحقيق التهيئة اللغوية الوظيفية التي تمكن المتعلم من استخدامها على أحسن وجه انطلاقا من المرحل القاعدية التي تمثل أرضية خصبة يكتسب من خلالها المتعلم أبجديات اللغة العربية في مختلف مستوياتها، ولا يتأت ذلك دون المرور بعناصر ذات الصلة بالمكون اللغوي التي يكتسبها المتعلم منذ الوهلة الأولى، ولها صلة بالجانب الوجداني والبناء الحسي والحركي، فهي تلعب دورا كبيرا في صقل شخصية الطفل، وتزداد معها فاعلية الاكتساب اللغوي والمعرفي كلما توفرت العناصر المكلمة التي ترسمها أيضا شخصية المتعلم وقدراته التواصلية المكتسبة ضمن إطار اجتماعي يعزز نجاح الممارسة اليداكتيكية من عدمها، وهنا تبرز أهمية التكاملات الإجرائية والإعدادية التي تضمن نجاح الفعل التعليمي في كل ممارسة ديداكتيكية.

الهوامش:

¹ - شحاته، حسن، السّمان، مروان، (2013)، المرجع في تعليم اللغة العربية وتعلمها، القاهرة، مصر، مكتبة الدار العربية للكتاب، (2013)، ط 02، ص 276.

² - زكريا، ميشال، (1993)، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، (1993)، ط 01، ص 10.

- ³ - أبوه الهيجاء، حسن، فؤاد، (2002)، أساسيات التدريس، ومهاراته وطرقه العامة، عمان، الأردن، (2002)، دار المناهج، ص 66
- ⁴ - بياجي، جان، (2012)، علم النفس وفن التربية، تر: محمد بردوزي، المجلس الوطني لحقوق الإنسان، ص 74
- ⁵ - زيتون، كمال عبد الحميد، (2008)، تصميم البرامج التعليمية بفكر البنائية، تأصيل فكري وبحث إمبريقي عالم الكتب، ص 23، 24.
- ⁶ - السعدوي، عبدالله بن صالح، الشمراني، صالح بن علوان، (2016)، التعلم المعتمد على المعايير، الأسس والمفاهيم النظرية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض السعودية، (2016)، مكتبة الملك فهد للنشر، ص 49.
- ⁷ - أبوه الهيجاء، فؤاد حسن، المرجع السابق. ص 67
- ⁸ - وزارة التربية الوطنية، (2004)، مناهج التربية التحضيرية، الجزائر، (2004)، اللجنة الوطنية للمناهج، ص 6.
- ⁹ - آيت أوشان، علي، (2006)، اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتكية، المغرب، (2006)، دار الثقافة، ط 02، ص 22.
- ¹⁰ - دوق، أحمد وآخرون، (2014)، دور التعلم الذاتي التنظيم وأثره في النجاح الدراسي في ضوء المقاربة بالكفاءات، الجزائر، (2014)، دار كموز الحكمة، ص 62.
- ¹¹ - ناول، سفيان، (2017)، تمثيلات المتعلم واكتساب المفاهيم الشرعية، مقاربة ديдаكتكية، المغرب، (2017)، أفريقيا الشرق، ص 38
- ¹² - الحاج صالح، عبد الرحمان، (2007)، بحوث ودراسات في علوم اللسان، الجزائر، (2007)، موفم للنشر والتوزيع، ص 205
- ¹³ - البصيص، حاتم حسي، (2011)، تنمية مهارات القراءة والكتابة، استراتيجيات متعددة للتدريس والتقييم، سوريا، (2011)، منشورات الهيئة العامة السورية، وزارة الثقافة، ص 30-31.
- ¹⁴ - حمادنه، محمد محمود ساري، عبيدات، خالد حسين محمد، (2012)، مفاهيم التدريس في العصر الحديث، إريد، الأردن، (2011)، عالم الكتب الحديث، ط 01، ص 194.

قائمة المراجع:

1. أبوه الهيجاء، فؤاد حسن، (2002)، أساسيات التدريس، ومهاراته وطرقه العامة، عمان، الأردن، (2002)، دار المناهج.
2. آيت أوشان، علي، (2006)، اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتكية، المغرب، (2006)، دار الثقافة، ط 02.
3. البصيص، حاتم حسي (2011)، تنمية مهارات القراءة والكتابة، استراتيجيات متعددة للتدريس والتقييم، سوريا، (2011)، منشورات الهيئة العامة السورية، وزارة الثقافة
4. بياجي، جان، (2012)، علم النفس وفن التربية، تر: محمد بردوزي، المجلس الوطني لحقوق الإنسان.

5. الحاج صالح، عبد الرحمان، (2007)، بحوث ودراسات في علوم اللسان، الجزائر. (2007) موفم للنشر والتوزيع.
6. حمادنه، محمد محمود ساري، (2012)، خالد حسين محمد عبيدات، مفاهيم التدريس في العصر الحديث، إربد، الأردن، (2012)، عالم الكتب الحديث، ط01.
7. دوقه، أحمد وآخرون، (2014)، دور التعلم الذاتي التنظيم وأثره في النجاح الدراسي في ضوء المقاربة بالكفاءات، الجزائر، (2014)، دار كموز الحكمة.
8. زكريا، ميشال، (1993)، قاضيا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، بيروت، لبنان، (1993)، دار العلم للملايين، ط01.
9. زيتون، كمال عبد الحميد، (2008)، تصميم البرامج التعليمية بفكر البنائية، تأصيل فكري وبحث إمبريقي، عالم الكتب
10. السعدوي، عبدالله بن صالح، الشمراني، صالح بن علوان (2016)، التعلم المعتمد على المعايير، الأسس والمفاهيم النظرية، الرياض، السعودية، (2016)، مكتب التربية العربي لدول الخليج، مكتبة الملك فهد للنشر.
11. شحاته، حسن، السّمان، مروان، (2015)، المرجع في تعليم اللّغة العربية وتعلمها، القاهرة، مصر، (2013)، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط02.
12. ناول، سفيان، (2017)، تمثلات المتعلم واكتساب المفاهيم الشرعية، مقارنة ديداكتكية، المغرب، (2017)، أفريقيا الشرق.
13. وزارة التربية الوطنية، (2004)، مناهج التربية التحضيرية، الجزائر، (2004)، اللجنة الوطنية للمناهج.